العناصر الاساسية في تخطيط المدن العربية الاسلامية

م .د عايد وسمي سحاب

جامعة بغداد / مركز التخطيط الحضري والاقليمي للدراسات العليا

Dr.awsahab@yahoo.com

المستخلص :

تخطيط المدينة العربية الاسلامية كان يقوم على عاملين اساسيين هما مكان العبادة والسكن وهناك دوما ثالوث ديني وسياسي واقتصادي يتمثل في مركز كل مدينة الا وهو المسجد ودار الامارة والسوق ويضاف اليهما الرحبة او الميدان . الا ان الكثير من الدول العربية تبنت الافكار الغربية في العمارة والتخطيط ، مما ادى الى طمس المعالم وعناصر الاصالة المميزة في تخطيط المدينة العربية الاسلامية،فظهرت المباني ومخططات المدن ذات الشكل الغربي لا تتوافق مع المعايير التخطيطية الاصيلة التي تحقق الوظائف والاحتياجات البيئية والأنسانية للمجتمع العربي الاسلامي . وقد تبنى العديد من المخططين والمهندسين الفكر الاجنبي في العمارة والتخطيط حتى اصبح هو الاتجاه السائد.واذا استمر هذا الغزو الفكري الغربي على ما هو عليه سيؤدي حتما الى تغيير في القيم وبالتالي سيفقد المجتمع العربي المسلم قيمه الحضارية وتمحى الشخصية المميزة له.

لقد ناقش البحث نشأة المدن العذربية الاسلامية ودراسة العناصر الاساسية في تخطيطها وخصائص النسيج الحضري المكون لها بهدف الوصول الى عناصر الاصالة التي كانت تتميز بها المدن العربية الاسلامية والتي يمكن الاستفادة منها في تخطيط المدينة العربية المعاصرة.

المقدمة :

العديد من المدن نمت وتطورت على اثر الفتوحات الإسلامية بفضل الجهود الصادقة للمسلمين ، فضلا عن ما تم تشييده من مدن جديدة أضيفت إلى رصيد المدن القائمة ، حيث اختاروا لها المواقع المتميزة وأضافوا إليها من فنونهم المختلفة والمتعددة في شتى المجالات حتى بلغت المدينة ذروتها ومجدها وأصالتها وعظمتها في ظل الدولة الإسلامية ، حيث كان للمسلمين الرغبة الحقيقية في البناء والتعمير وذلك من منطلق عقيدتهم الاسلامية.ولقد كانت الحضارة الاسلامية تموج بديار الاسلام من الاندلس غربا لتخوم الصين شرقا ، وازدهرت مدن حضرية عظيمة مثل الكوفة والبصرة وبغداد ودمشق والقاهرة والفسطاط والعسكر والقيروان والجزائر بينما كانت اوربا وبقية انحاء المعمورة تعيش في ظلام حضاري وجهل مطبق،فكان المسلمون هم السبب في ظهور عصر النهضة الاوربية لأنهم هم الذين حملوا المشاعل التنويرية للعالم في العصور الوسطى حتى اصبحوا سادة العالم و معلمية.

وقد تميزت المدن في العصور الإسلامية بمورفولوجية كانت وليدة احتياجات وظروف سكانها حيث لم يكن علم التخطيط معروفا بمفاهيمه ونظرياته المعاصرة ، كما أن وسائل وأساليب البناء في العصور القديمة كانت تختلف كل الاختلاف عن مثيلاتها الحالية ، وعلى الرغم من ذلك

فقد ظهرت اتجاهات تخطيطية وعمرانية تمثل قيما ومبادئ ومعايير في التخطيط والعمارة ، وعليه تعتبر المدن الإسلامية في العصور الوسطى مثالية من وجهة نظر التخطيط المعاصر بنظرياته الحديثة لما حققته من توافق وتطابق بين الاحتياجات المادية والمعنوية التي جاءت تشكيلا فراغيا يعبر عن المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية. ودار الزمان دورته وحل العصر الحالي ليشهد ما انحدرت اليه المدينة العربية الاسلامية مقارنة بمدن الغرب ، لأسباب عديدة منها ، التقلص وانحسار النمو والتوسع والامتداد العشوائي نتيجة لمؤثرات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو طبيعية في بعض الحالات ، أو نتيجة لأسلوب التغريب الذي ساد العديد من المدن العربية وهو ما يطلق عليه البعض بالاستعمار الذاتي.

مشكلة البحث:

تمزق النسيج الحضري وإغفال العناصر الاساسية في تخطيط المدينة العربية الاسلامية وتشوه معالمها التاريخية .

فرضية البحث:

ان ما يميز العناصر الاساسية في تخطيط المدينة العربية الاسلامية هو المحافظة على التعاليم الاسلامية وتحقيق الملاءمة البيئية وتلبية متطلبات الانسان الا انها تعرضت للتصدع بسبب تسلل الفكر التخطيطي الغربي عليها في الشكل والمضمون فصارت المدينة العربية الاسلامية نسخة عن المدن الغربية.

هدف البحث:

بيان العناصر الاساسية في تخطيط مراكز المدن العربية الاسلامية والحفاظ عليها من التأثيرات السلبية للأفكار الغربية ومحاولة الدمج بين تلك العناصر والحداثة في تخطيط مدننا في الوقت الحاضر .

هيكلية البحث:

لقد تناول البحث نشأة المدينة العربية الأسلامية وتخطيطها والعناصر العمرانية المكونة لها والمميزات والخصائص التي تميز بها النسيج الحضري في المدينة العربية الاسلامية ومن ثم اهم الأستنتاجات التي توصل اليها البحث والتوصيات .

اولا:نشأة المدينة العربية الاسلامية :

تبدأ نشأة المدينة العربية الاسلامية من يثرب بعد ان هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام اليها ثم حولها الى المدينة وبعد الهجرة حدث تغيير واضح سعى الرسول عليه الصلاة والسلام الى تحقيقه هو الدعوة الى الاسلام ذلك الدين الذي بدأت تعاليمه في تهيئة المجتمع الاسلامي الجديد لحياة حضارية تلازمت تماما مع اهتمامه بالمدينة وبرزت هنا اهمية الوطن والأرض وتنمية الشعور بالانتماء لها.

اتضح من ذلك ان الاسلام ابدل الانسان والمكان بالعصبية القبلية واتجهت افكار الاسلام بمسميات جديدة كأهل المدينه وأهل الطائف وأهل قباء ولهذا الاتجاه دلالته الحضرية والاستيطانية[١] . ولقد

اختلفت اسباب نشأت المدن وتنوعت وارتبطت بعوامل كثيرة منها اقتصادية وأخرى حربية ودينية واجتماعية وسياسية وبدأت المدينة بنواة عمرانية ثم تطورت وازدهرت واتسعت بفضل توفر المقومات الحضارية.

لقد كانت القرون الوسطى وبصورة خاصة القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادية مرحلة مهمة في تاريخ المدن التي اسسها العرب في العالم الاسلامي ومنها العراق وهناك من يدعي ان المدن التي اوجدها المسلمون خارج جزيرة العرب قد يزيد عن مائتي مدينة خلال حكمهم الطويل في دور الخلفاء الراشدين والعهدين الاموي والعباسي وفي دور الدويلات الاسلامية فضلا عن القلاع والحصون والأسواق بعضها اصبحت مدن وبقيت تحمل اسماءها الاولى ، كما تنبه المسلمون الى تعمير ما خرب من المدن وتجديدها ،وكان نصيب للعراق من هذه الحركة العمرانية الحضرية كالبصرة التي أ'سست سنة ١٤ هـ والكوفة سنة ١٧ هـ وبغداد ١٤٥ هـ [٢]. لقد ارتبط عمران المدن الاسلامية بتغيير الخارطة الاسلامية بالعالم الاسلامي وقد شجع حكام المدن العامة بتعمير المدن وتشجيع اهلها على ممارسة اعمالها وتوسعها كما كان اختيار المواضع الصالحة بانتشار المدن مدعاة الى المنافسة في اعمارها وتوفر المرافق الاساسية من ماء عذب وأسواق ومساجد وجسور وطرق فتطورت المدن العربية الاسلامية وازداد عمرانها في فترة وجيزة اذا ما قيست بتطور غيرها من المدن.

وعلى هذا الاساس شكلت الخريطة السياسية للمدينة العربية الاسلامية ودعمها استمرار الفتوحات ورسمت خطط المدينة بعد ان اتخذت منزلا للجيوش العربية الاسلامية وزادت مساحتها ورسمت طرقها وشوارعها كالفسطاط والكوفة والبصرة وكان الاهتمام بتحصين المدينة فحفرت خنادقها وبنيت اسوارها ولم يقتصر دور العرب في حضارتهم الاسلامية على انشاء المدن بل اعادوا الحياة اليها ووسعوا جبتها بالمدن الجديدة كما وصلوا بأحجامها الى مستويات ربما لم تصل اليها المدينة من قبل ، واذا قارنا بين المدن العربية الاسلامية كبغداد وسامراء والكوفة والفسطاط نجد كثيرا من المتشابهات في نظام القطاعات والخطط ومواقع المساجد والأسواق [٣].

فأية مدينة بنيت في العصر الاسلامي كانت تتبع الخـطط المعمول بهـا في معظم الـــدول الاسلامية في تشابه اسواقها ومساجدها ومحلات السكن وشوارعها وتختلف مواد بنائها حســـب الطبيعة الجغرافية المتواجدة فيها المدينة وعلى هذا الاساس اقيمت المدن الاسلامية وتطورت مع تطور العصور.

ثانيا:تخطيط المدينة العربية الاسلامية

كان للعرب تجاربهم الواسعة والكثيرة خلال القرون السابقة في تخطيط المدن وقبل ان يخرجوا الى الفتوح وان هذه التجارب اعطت المدينة العربية الاسلامية نمطها الحضاري الاصيل وطابعها المميز بين مدن الاقوام الاخرى ، حيث كانوا ذوي خبرة في تخطيط المدن والقلاع والحصون.وقد اتخذ تخطيط المدينة العربية الاسلامية هيئة معسكرات حربية في بداية الفتوح الاسلامية وتطورت الى مدن كما في البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ومنها ما انشأ

لأغراض ادارية كمدينة واسط ومنها ما خططت لاتخاذها كعواصم او حواضر اسلاميه كمدينة بغداد والقاهرة و فاس. ان نقطة الارتكاز في المدينة العربية الاسلامية تقوم في مركزها ونواتها و هناك دوما ثالوث ديني سياسي معاشي لا يفتقد في اي مدينة هو المسجد الجامع ودار الامارة والأسواق ويضاف اليها الرحبة او الميدان الواسع الذي لابد منه للتجارة وتلاقي الناس وهذا التقليد انما جاء من تخطيط مدينة الرسول(صلى الله عليه وسلم)وظل سنة متبعة لارتباطه بالدين والسياسة والمعاش .فقد كانت البصرة اول مدن الاسلام اختطت بعد مدينة الرسول(صلى الله عليه وسلم) ولذلك اخذت الكثير من الملامح الاسلامية منها كتوسط الجامع ووجود دار الامارة بجانبه كما اخذت فكرة احاطة الاسواق بهما وتوزع خطط المدينة بين القبائل(٤) .

ثالثا:العناصر العمرانية

تشترك المدن العربية الاسلامية في عامل حضاري مهم وهو الدين الإسلامي ، وعليه فلا نستطيع تحديد مفهوم الحضارة في المدن العربية بدون ربط الحضارة العربية بالحضارة الإسلامية ، وذلك لان الحضارة الإسلامية حددت الأشكال الرئيسية لمعالم المدينة العربية الإسلامية ، حيث أنها أبرزت المساجد وحددت نوعية الساحات التي تحيط بها وبلورت نوعية الاتصال بين الجنسين وكذلك حددت نوعية تصرف المجتمع بالنسبة إلى التعاليم الدينية وهذا بدوره شكل الأبعاد الفيزيائية سواء للمسجد أو المسكن أو المدينة بشكل عام (٥) . لقد ازدهرت المدينة العربية في العصور الإسلامية رغم اختلاف مواقعها ومناخها ووظائفها وثقافات أهلها وأشكال مبانيها من خلال عناصرها العمرانية المختلفة التي تكاد تكون ثابتة ، وقد كانت تلك العناصر تعبير فطريا صادقا عن المجتمع واحتياجاته والتي تمثلت بالمسجد ، ودار الامارة ، والسكن ، وشبكة الشوارع والخدمات العامة ،والشكل رقم(١) مدينة عين الجارالتي تقع في سهل البقاع بين دمشق وبيروت وتظهر بها العناصر العمرانية المكونة لها.

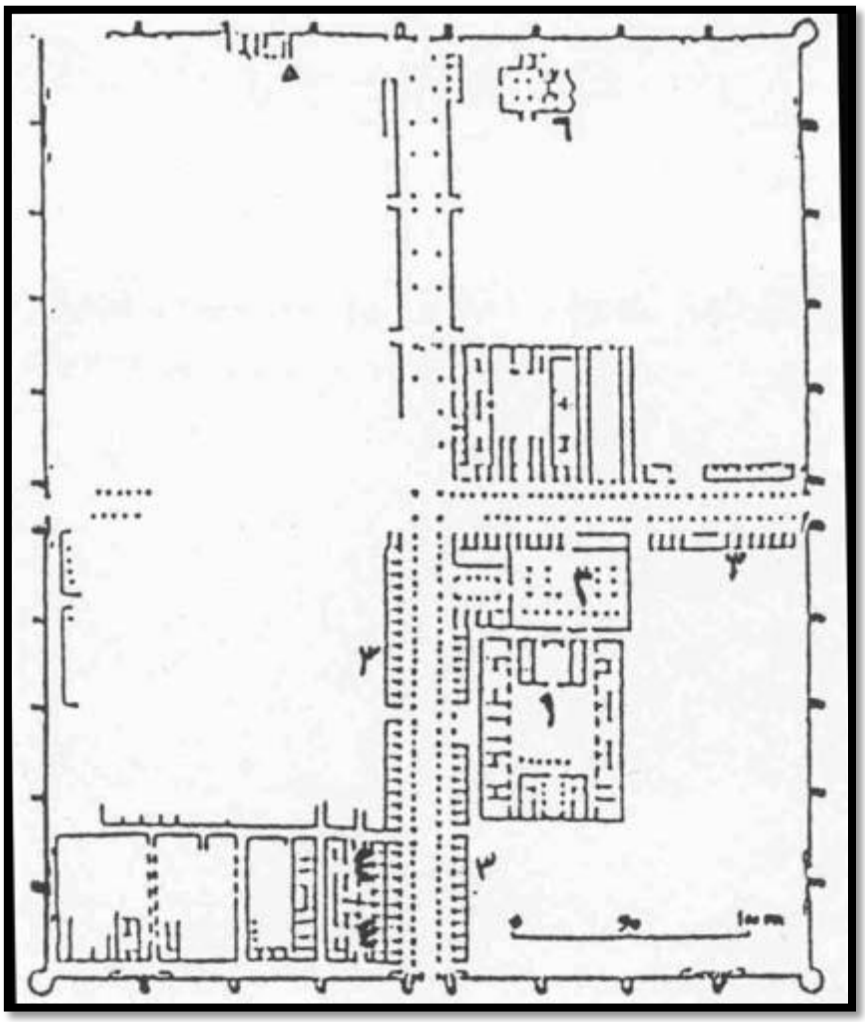

شكل رقم (١)

١-قصر الخليفة ٢-المسجد ٣- الاسواق ٤-سكن العامة ٥-الحمام العام ٦-الحمام الخاص

المصدر: عبداللطيف،الملائمه الوظيفيه للعمران التراثي في المدينه العربيه، القاهره ، ١٩٩٩،ص١٩١

وفيما يلي توضيح لأهم العناصر العمرانية:

١-المسجد

يعد المسجد الجامع من العناصر العمرانية الاساسية في المدينة العربية الاسلامية ومن اهم المنشآت العامة فيها لما له من دور اساسي في حياة مجتمعها ، ويمثل محورا رئيسيا من محاور تخطيطها ، واقتضت وظائفه الدينية والتربوية والاجتماعية والسياسية ان يكون موضعه وسط المدينة ليكون قريبا من كل موضع فيها ، لذا فانه يمثل اهم الفعاليات الدينية في المراكز الحضرية الأ سلامية ، وهو مركز الاشعاع الديني ورمزه في المدينة وهو لا يتوسطها في الناحية العمرانية

فقط ولكنه يتوسط الفكر الديني الاسلامي كله فيها باعتباره قطبها الاول وانه يمثل السلطة الرسمية الحاكمة في المدينة وأخيرا انه المركز السياسي والأداري والقضائي والثقافي لها بحكم الوظائف التي يقوم بها ، وحكمت هذه الاهمية للمسجد الجامع موضعه في المدينة باعتباره النواة الاساسية في تخطيطها ، فقد كان اول من يختط ومن حوله كانت تخطط خطط المدينة الاخرى،وتنتهي اليها شوارعها وسككها وأزقتها.وعليه فان للمسجد في المدينة العربية الاسلامية الاثر الواضح في تحديد شكل وتوجيه شكل النسيج الحضري وتوجيه الابنية المجاورة فيها مما يؤثر بالتالي على تركيبها وهيئتها بشكل مباشر وواضح شكل رقم (٢) .

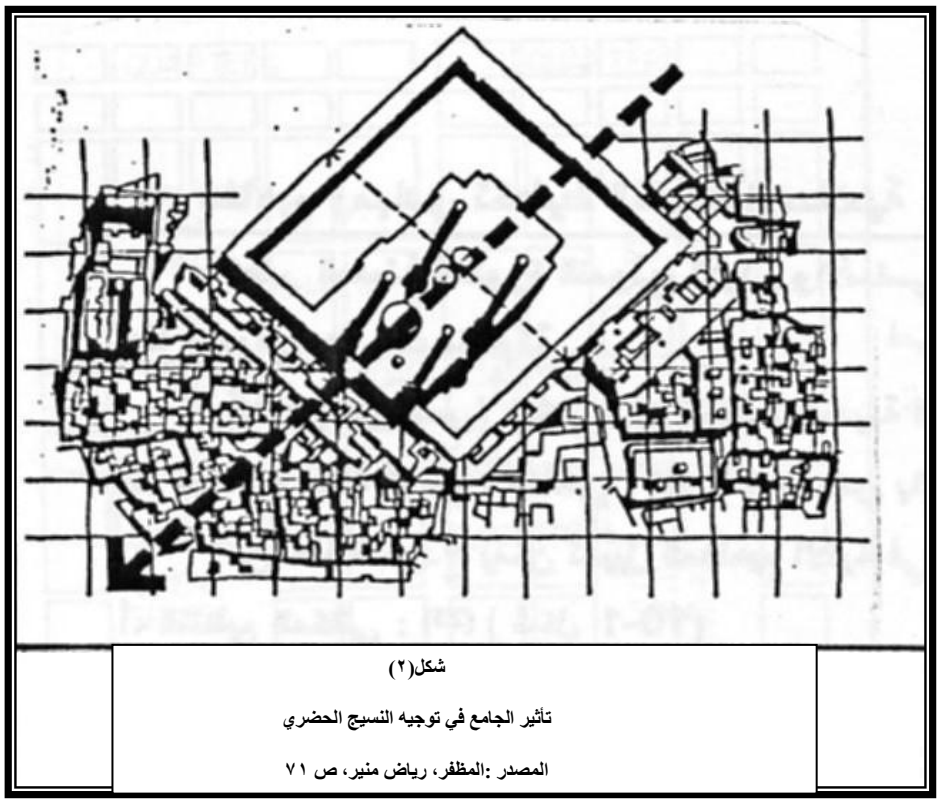

شكل(٢)

تأثير الجامع في توجيه النسيج الحضري

المصدر :المظفر، رياض منير، ص ٧١

وكانت مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المثال الاول على ذلك،وسارت المدن التي انشأت على هذا النهج في اختيار موضع متوسط في المدينة لأقامة المسجد الجامع،مثال ذلك البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان و واسط وبغداد وغيرها وانسحبت هذه القاعدة على المدن التي فتحها المسلمون كدمشق وقرطبة وغيرها(٦) .

ويلاحظ أهمية الجامع في هيكل المدينة الإسلامية الأولى حيث تعتبر العمارة الإسلامية عن خصوصيتها بالمساجد وقد تبعت سمات المدن الإسلامية من النمو العضوي للمساكن الممزوجة بالدكاكين و الأبنية التجارية الأخرى ، مع الحفاظ على مساجد الأحياء نقاط بؤرة داخل النسيج العضوي وقد كانت المدارس في الغالب مندمجة مع المساجد أيضا . فقد كان المسجد نقطة مرجعية في النسيج الحضري .

وأيضا الجامع هو مركز تعليمي وثقافي ودار للعدالة ومحل لممارسة الفعاليات الحياتية و الدنيوية إلى جانب وظيفته الأساسية ككيان ديني مما اكسبه أهمية كبيرة انعكست في موقعه المركزي وهيمنته على تكوين النسيج الحضري (٧) . إن أهم ما يتميز به الجامع هو التوجه نحو القبلة وهذا التوجه قد اثر بصورة كبيرة على توجيه الكتل في المدينة العربية الإسلامية بحيث اصبح امتداد جدار الجامع أثراً لامتداد وتوجيه الأبنية و مسالك الحركة وحتى لو كانت بعيدة بما يفوق المعطيات الهندسية المؤثرة (٨) .ويعتبر الجامع في المدينة العربية الاسلامية الجزء المهيمن على النسيج الحضري كما انه يهيمن على خط السماء في المدينة عن طريق القبة و المئذنة للجامع بحيث لا تتجاوز أي بناية ارتفاعه شكل رقم (٣) .

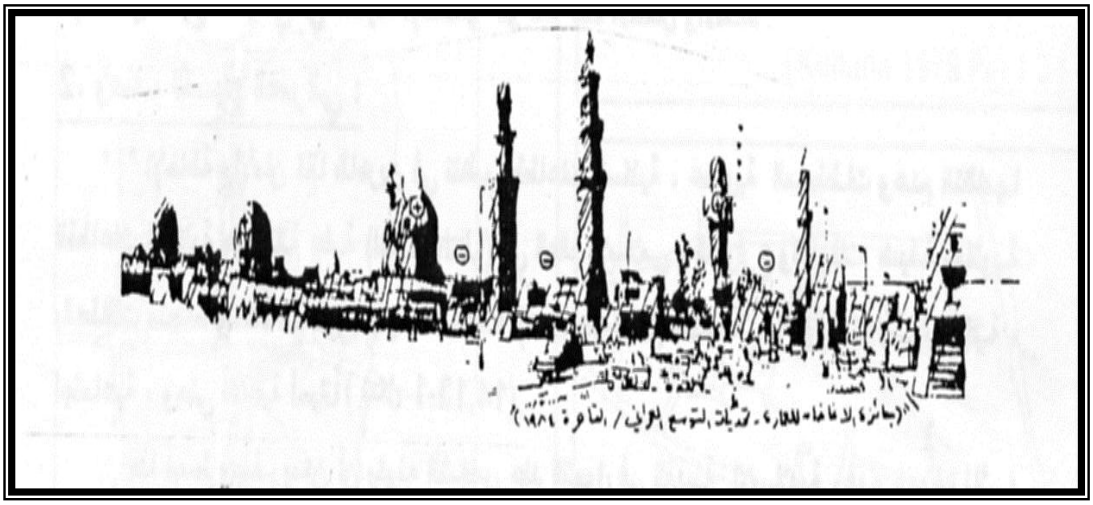

شكل(٣)

سيطرة المئذنة و القبة على خط السماء في تكوين النسيج الحضري للمدينة الإسلامية

المصدر: الغزالى ،١٩٩٦ ،ص٢٤

وبناءا على ذلك فإحياء دور المسجد بالمدينة العربية الاسلامية ليس فقط احياء لأحدى القيم والمعايير التخطيطية للمجتمع الاسلامي بل انه احدى المقومات الاساسية لتأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة،لذا نجد انه لتأصيل القيم العمرانية الاسلامية في المدن المعاصرة لابد من اعادة بناء القاعدة الاساسية للقيم الدينية وتأصيلها في المجتمع عن طريق ربط المسجد الجامع بالخدمات المختلفة الثقافية والتعليمية والاجتماعية والإدارية والصحية وذلك على المستويات المختلفة للمدينة حتى يمكن ان تنعكس بعد ذلك تلقائيا على التكوين العمراني للمدينة.

٢- دار الامارة:

كان يخطط لبناء دار الامارة مجاورا للمسجد وذلك لضرورة وظيفية فقد بنى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بيته ملاصقا للمسجد والذي اكسبه اهمية كبيرة وقد اعتمد الرسول في تأسيسه لمفهوم مركز المدينة الاسلامية العمرانية على الربط الفراغي بين المركز الثقافي الديني المتمثل بالمسجد مع المركز السياسي المتمثل في بيت الرسول. وقد اخذ عنه المسلمون الفاتحون

هذا النموذج في مدن الفتوحات اذ جرت العادة ان تكون دار الامارة او قصر الخليفة قريبة او ملاصقة للمسجد الجامع وذلك باعتبار التكامل الوظيفي لكل منهما ، وأصبحت هذه الظاهرة تقليدا تخطيطيا ومعماريا في المدينة الاسلامية وان تغيرت اشكاله وفقا للظروف السياسية والأمنية التي تغيرت بعد ذلك ، وفي المدن التي انفصل فيها المسجد الجامع عن القصر او دار الامارة ربطت فيها شوارع واسعة تتسع لمواكب الخلفاء والولاة اثناء خروجهم الى الصلاة كما في مدينة سامراء والقاهرة .وعليه فان التركيز على وضع المسجد الجامع ودار الامارة او قصر الحكم والدواوين ومركز القضاء في وسط المدينة باعتبار انها تمثل مركز الادارة في المدينة ويؤكد ان المدينة العربية الاسلامية كان لها جهازها الاداري الذي يشرف على جميع شؤونها(٩) .

٣- الاسواق:

يتم التخطيط للسوق في المدينة العربية الاسلامية حول المسجد الجامع اي في مركز المدينة وكانت الاسواق في بداية المدن الاسلامية متواضعة وهي عبارة عن اكشاك واكواخ وخيام متناثرة في فضاء مكشوف حول المسجد الجامع ، وذلك لكي يتحقق سهولة الوصول اليها من كل اطراف المدينة عن طريق نمط الشوارع الشعاعية المرتبطة بهيكل المدينة العام ومن ثم تطور تخطيط الاسواق وتصميمها وتميزت بكونها مسقفة وارضيتها معبدة ومتنوعة وواسعة ، وان انشاء الاسواق في المدن الاسلامية كان من محاور النهضة العمرانية لها فضلا عن انها مراكز تجارية . أن للأسواق أهمية كبيرة في المدينة العربية و الإسلامية حيث تأتى بعد الجامع و دار الإمارة بالأهمية ، وتؤدي أثراً كبيراً في تكوين النسيج الحضري وهي أحدى الروافد المهمة في تطور المدينة . وتبرز أهمية الأسواق في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية للمدينة فهو شريان الحياة ويعتبر إلى جانب الجامع المكان الوحيد الذي تجتمع فيه القطاعات المختلفة من المجتمع الحضري مع بعضها .وتجسد الأسواق الترابط المادي و الروحي في حياة سكان المدينة العربية و الإسلامية حيث يكون المسجد الجامع ومحور السوق متلازمين ويكون في الكثير من الأحيان المسجد داخل محور السوق. إن معظم الأسواق التراثية خاصية الاتجاهية بسبب الشكل الشريطي وتمثل الأسواق منطقة الحركة للسابلة وتمتاز بمعالجات بيئية ومناخية لأغراض الإنارة و التهوية (١٠) شكل رقم (٤).

شكل(٤)
سوق تراثي شرقي في بغداد — رسم احد المستشرقين
(المصدر: علي،حسام حسين،الفضاءات الحضرية حول المراقد المقدسة ، رسالة ماجستير ، الجامعة التكنولوجية ،١٩٩١، ص٢١)

وقد اتخذت الاسواق والمنشات التجارية في المدينة الاسلامية اتجاهين رئيسين من ناحية التكوين المعماري الاول هو تبلور بنائي في العصر الاموي عندما بنيت الاسواق وكان بناؤها عبارة عن مجموعة من الحوانيت تطل على ساحة مكشوفة في الوسط وظهرها الى الخارج وتعلو هذه الحوانيت وحدات سكنية كانت تؤجر لمن يرغب السكن فيها تشبه (الاجوراء) في المدن اليونانية والاتجاه الثاني هو نمط الحوانيت المتراصة على جانبي الشارع الرئيسي والشوارع المتسعة ويرتبط وجوده بالشوارع النافذة وصنفت حوانيته تصنيفا تجاريا يمنع وقوع الضرر ويمكن من مراقبة الاسواق ويسهل على المشتري الوصول الى حاجته(١١) .

٤-السكن:

يشغل السكن في المدينة العربية الاسلامية النسبة الكبيرة من مساحة المدينة،وتعتبر المحلة السكنية من المكونات الحضرية المميزة في المراكز التاريخية للمدن العربية الاسلامية ولها مميزات عديدة كالتجانس المرتبط بالوجود الديني والاسري والاقتصادي والاجتماعي وعدم الاندماج والالتحام باي مدن مجاورة ،وقد اخذت شكل القطائع او الخطط في مرحلة النشوء وقد تطورت بعد ذلك الى محلات متخصصة ومتوزعة بشكل حلقي او نطاقي حول النواة الدينية

والادارية للمدينة وتتقطع بانماط الشوارع الشعاعية الخارجة من مركز المدينة والطرق والازقة الملتوية.

ويتكون الهيكل الحضري للمحلات السكنية من نسيج متضام "Compact urban fabric" يمثل الاستجابة العقلانية لنمط الحياة السكنية و لمتطلبات المجتمع العربي الإسلامي الدينية و الاجتماعية الحضارية ، مما جعله أحد المعالم المميزة للمدن العربية الإسلامية شكل رقم (٥) فالنسيج المتضام يوجد عبر ترابط مكونات (الوحدة السكنية وشبكة الحركة)والبيئة السكنية ذات طابع إنساني تكون الأولوية في الأهمية لحركة السابلة ، ولا تلائم في معظم مقاطعها حركة العربات التي تجرها الحيوانات و حركة تلك الحيوانات نفسها كالجمال و البغال و غيرها . كما يمكن تميز النظام المتدرج للفضاءات المفتوحة (المرتبطة بشبكة الحركة) والفصل الواضح بين المجال العام و الخاص الذي يساعد في تحقيق المتطلبات الاجتماعية ، الحضارية و الدينية للمجتمع ومن أبرزها عامل الخصوصية [١٢] ،ويحقق النسيج المتضام (المتراص) الكثيف كثافات سكانية و إسكانية عالية وتقارب مكاني مما يحمل مضامين إيجابية تنعكس في وقوع الخدمات في مركز المحلة ضمن مسافة المشي المقبولة لسكانها وفي الترابط الاجتماعي علاوة على التجاوب مع المتطلبات المناخية حيث يؤدي تقارب الأبنية وضيق الأزقة إلى التظليل المتبادل وتقليل الحرارة المكتسبة إلى أدنى حد وتضليل ممرات المشاة وذلك لإيجاد نوع من البيئة ذات الراحة التامة في محتوياتها للقاطنين أي بعبارة أخرى توجد المحلة السكنية لخدمة الساكن وليس العكس .

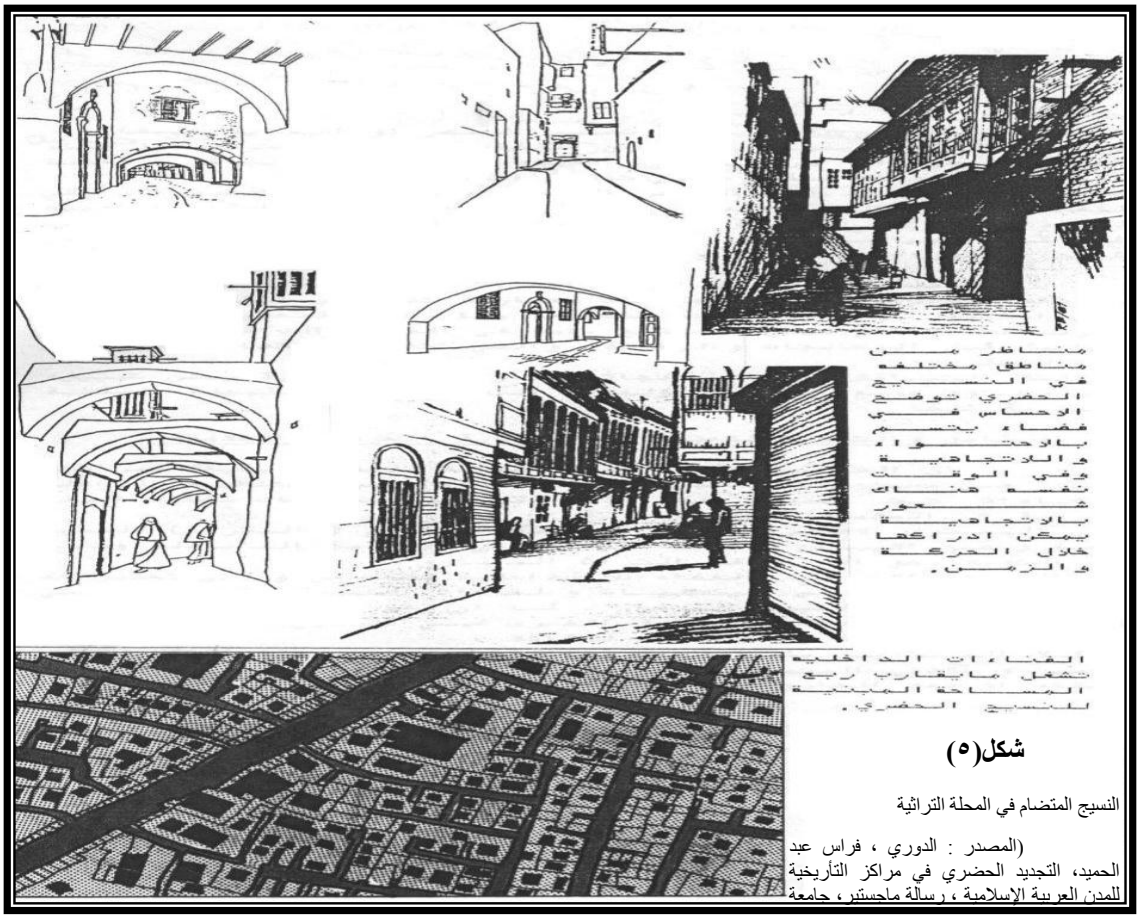

شكل(٥)

النسيج المتضام في المحلة التراثية

(المصدر : الدوري ، فراس عبد الحميد، التجديد الحضري في مراكز التأريخية للمدن العربية الإسلامية ، رسالة ماجستير، جامعة

وقد اتسمت المناطق السكنية في المدينة العربية الأسلامية بما يأتي:

- يعبر مخطط المدينة العربية الاسلامية عن نظام اساسي في المجتمع الاسلامي القائم على وجود حياة خاصة تحقق الانفصال التام بين الرجال والنساء وتحقق الخصوصية للعائلة وحياة عامة تسمح بمشاركة واسعة النطاق في الحياة الدينية والاقتصادية والسياسية للجماعة في آن واحد.
- تكتل المباني وتلاصقها حيث تعمل كحاجز ضد الحرارة من جهة وصعوبة مهاجمة المنازل المتلاصقة من جهة اخرى كما أن هذا التلاصق يقوى ويسهل الاتصال بين العائلات ويؤكد قيمة الجوار والترابط وهى أمور حث عليها الإسلام.

يمثل الفناء الداخلي للمنزل نواه اجتماعية لتقوية روابط الأسرة والاهتمام بعنصر الماء والزروع الخضراء جعل من فناء المنزل مكان الانطلاق نحو السعة والخضراء والماء في حرم امن يتفق والخصوصية التي يحرص عليها الاسلام (وهنا يظهر الدور الاجتماعي والمناخي الذي يقوم به الفناء بالمنزل ولذلك لابد من إيجاد البديل له في العمارة الحديثة).

٥-الشوارع:

تعد الشوارع في المدينة العربية الاسلامية من العناصر التخطيطية المهمة حيث انها لم تكن وسيلة الاتصال خاصة بالحركة او فصل القطائع وانما كانت تؤدي خدمات حضرية متعددة اذ يمارس فيها نشاط تجاري مكثف خاصة الشوارع القريبة من المنطقة المركزية.
ان أتساع الشوارع تحدده الضرورة والحاجة لها، فقد حدد الشارع العام في مدينة البصرة بستين ذراعا* وفى مدينة بغداد بخمسين ذراعا والشوارع الفرعية بعشرين ذراعا والحد الأدنى من الطرقات (الازقة) بسبعة أذرع[١٣].

ومن أهم الملامح التخطيطية التي تميزت بها الشوارع في المدينة العربية الإسلامية هي :

- توجيه الشوارع من المحاولات البارزة في التخطيط لمقاومة العوامل الجوية فمن المدن ما وجهت شوارعها من الشمال الى الجنوب بحيث تتعامد مع حركة الشمس حتى تكتسب الشوارع الظل طول النهار وخاصة في المناطق الحارة اما في المناطق الباردة فيكون الاتجاه شرق غرب حتى تكتسب الشوارع اكبر كمية من اشعة الشمس في فترة النهار وحسب مواقع المدن وكذلك استخدام الشوارع الضيقة غير المستقيمة لتوفير مساحات مظللة ولمنع الرياح وتأكيد جوار الترابط.
- تضليل الشوارع من خلال ارتفاع المباني على جانبيها والشناشيل البارزة امتدادا للطابق الاول بما يوفر الظل في تلك الشوارع.

تدرج الشوارع وتكاملها حيث كانت هنالك ثلاثة مستويات :

* الذراع وحدة قياس وتساوي (٤٦)سم

المستوى الاول : الشوارع التي تربط البوابات الرئيسية للمدينة بمركزها المتمثل بالمسجد الجامع والأسواق الرئيسية.

المستوى الثاني:الشوارع المحلية الرئيسية وتربط بين شوارع المستوى الاول وهي بمثابة الشرايين الرئيسية التي تربط المحلات المتجاورة.

المستوى الثالث: وتمثله الشوارع الثانوية في المحلة التي توفر بدورها محاور ربط للمناطق ضمن المحلة الواحدة التي لا تخدمها شوارع المستوى الثاني.

وهناك الشوارع الضيقة (الازقة) الخاصة لمجموعة من الدور السكنية التي تخدمها ويمكن ان ترتبط مع أي مستوى من الشوارع العامة في اعلاه.

ان شبكة الشوارع والمسالك المترابطة بالتوائاتها وانحرافاتها تشكل بانوراما بصرية تحرك خلالها عين المشاهد عند تنقله في دروبها وازقتها التي تتسع حينا وتضيق حينا اخر وبما يبعد الملل عن عين المشاهد بحيث لا يشعر بالمسافة التي يقطعها [١٤] . اضافة الى ذلك فقد كانت شوارع المدينة العربية الاسلامية نظيفة ومضاءة ليلا مما يعكس القيم الجمالية والوظيفية والبيئية لها.

٦-الخدمات العامة:

مما يميز المدينة العربية الاسلامية انها لم تنشا لأسباب موضوعية بحتة وبأسلوب هندسي يراعي الوضع الاقتصادي والجوانب المادية فقط كما انها لم تنشأ كرد فعل لحلول مشاكل معينة كانت موجودة قبل نشأتها بل كانت تخطط منذ انشأها لتلبية مطالب الانسان وأشباع حاجاته النفسية والروحية والمادية وكانت تشيد وتتطور وفق خطة معينة تراعي تقديم الخدمات العامة للأنسان مثل التعليم والصحة والحمامات العامة وفيما يلي عرض مختصر لها.

أ-المدارس:

الى جانب المسجد الجامع انشئت في المدن العربية الاسلامية منشات دينية اخرى بعد ان توسعت المدن ولم تعد المساجد الجامعة تستوعب الاعداد المتزايدة من المسلمين الراغبين في العلم تمثلت بالمدارس وظلت تلك المدارس اكثر من قرن ونصف القرن مجرد مؤسسة تابعة للمسجد تقوم بمعاونته في التدريس الديني ولا تقل شانا بكثيرعن منزلة المسجد،ومن ثم تم تطويرها والاهتمام بها بحيث وصلت الى ارقى مستوى من التنظيم والادارة والمستوى العلمي الذي ينعكس بصورة جلية في الموسوعات العلمية والتاريخية والمخطوطات الاخرى[١٥] .

فقد تمثلت المدارس بأنها جامعات اسلامية انشئت لاول مرة في المدن العربية الاسلامية قبل اوربا بقرنين ،اذ أنشئت اول جامعة (بيت الحكمة) في بغداد سنة ٨٣٠ م في عهد الخليفة العباسي المأمون لتكون اكاديمية البحث العلمي وكانت تضم مرصدا ومكتبة ضخمة وجمع فيها كافة المخطوطات من كل الدنيا لتترجم علومها ،ثم تلاها جامعة القرويين في فاس سنة ٨٥٩ م ثم جامعة الازهر في القاهرة سنة ٩٧٠ م.

وقد اخذت المدارس طابعا مشتركا فكانت متشابهة التخطيط والبناء فلها باب او بوابة كبيرة مزخرفة كابواب بعض الجوامع كما في المدرسة المستنصرية في بغداد ثم ساحة تعرف بالصحن تحيط به الحجرات في طابقين على الاغلب لأيواء الطلبة والمدرسين وغالبا ماتحوي اروقة امام الحجرات وهي مزخرفة او وقرنصة وفي اغلب المدارس اواوين متقابلة[١٦].

ب- البيمارستانات:

من العناصر العمرانية في المدن العربية الاسلامية منشآت انشئت لتقديم الخدمات العلاجية والطبية للعامة هي البيمارستانات (المستشفيات الاسلامية) وواكب انشاءها النمو العمراني للمدينة الاسلامية وأول بيمارستان انشا في العصر الاموي من قبل الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة ٧٠٧ م ، وتتابع انشاء البيمارستانات في المدن العربية الاسلامية وتولى غالبا انشاءها الولاة والأمراء وذلك لارتفاع تكاليفها ، وكانت تلك المستشفيات تشتمل على اقسام العلاج المتنوعة وتقدم الخدمة المجانية من العلاج والدواء والغذاء ومساعدة اسر المرضى المعوزين ،ثم بعد ذلك بلغ تكامل المستشفيات ذروته عندما قرر به مكانا لتدريس الطب واخذ الصليبيون نظام المستشفيات الاسلامية والطب العربي عن العرب المسلمين [١٧].

ج-الحمامات:

لقد كثر انشاء الحمامات العامة في المدن العربية الاسلامية لحاجات وظيفية مرتبطة بدعوة الاسلام للنظافة والتطهر وبعدم قدرة العامة جميعا على احتواء منازلهم حمامات خاصة .وتوجد الحمامات بتخطيطات مختلفة تتناسب والمساحة المحددة لها وكيفية تزويدها بمصادر الماء وقنوات الصرف وما يصدر عن بناءها من دخان يحكم في تحديد مواضعها وتكويناتها المعمارية.

رابعا: النسيج الحضري للمدينة العربية الاسلامية:

ان ابرز ما يميز الهيكل الحضري للمدينة العربية الاسلامية هو نسيجها العضوي المتضام المتسم بالتكامل والتماسك والوحدة و الانفتاح نحو الداخل ، وتتميز بانها مدينة مغلقة ذات كثافة عالية وخصوصية عالية للساكنين .وان السمة المهيمنة فيها هي الاحتواء . والشكل رقم (٦) يظهر المدينة بنية متلاحمة الاجزاء مكونة من مجاميع عمرانية متراصة وذات واجهات مستمرة غير منقطعة وارتفاعاتها متقاربة تكاد تكون بمستوى واحد عدا تفرد المساجد التي تتميز بارتفاعها النسبي وارتفاع مآذنها المميزة .

شكل (٦)

النسيج الحضري في المدينة العربية الاسلامية

المصدر : ابراهيم ، ١٩٨٢،ص٤٢

ويتكون النسيج الحضري في المدينة العربية الاسلامية من الكتلة التي تمثل الجانب المادي ويشمل الهياكل العمرانية والأبنية المشغولة جميعها الرمزية والوظيفية ، ومن الفراغ الذي يمثل الجانب الروحي والمعنوي ويشمل الفراغ فضاءات الازقة والشوارع والساحات العامة وغيرها(١٨).

ويتميز النسيج الحضري في المدينة العربية الاسلامية بالخصائص الاتية:

١- العضوية:

تتحقق العضوية في المدينة العربية الاسلامية في الانسجام مع المناخ لينعكس على الهيكل التنظيمي للنسيج الحضري في شكل شوارعه وازقته الظليلة المحدودة العرض والمحمية بجدران الواجهات الصلدة التي يمنحها الظل فحققت تلك الشوارع اكبر قدر من شروط الملائمة المناخية وهكذا شأن الأسواق التقليدية المسقفة التي تومّن حماية مناخية وتساعد في تكوين ظروف مناخية محلية مريحة (١٩).

٢- الهرمية:

ان التكوين العمراني للمدينة العربية الاسلامية يعرض تدرجا في الفضاءات الحضرية يمتد من المجال العام الى اصغر وحدة للمدينة وهي الفناء الداخلي السكني ، ولما كانت الفضاءات الخارجية المفتوحة في المدينة تقتصر على الشوارع والأزقة فان هرمية هذه الفضاءات انما تمثل التدرج في مستويات الطرق الحضرية من حيث كثافة الاستخدام ومستوى الخصوصية الذي تقدمه للمباني المطلة عليها. ان هذا التنظيم نابع من تأثير واضح لتعاليم الدين والبيئة الاجتماعية التي كوّنتها والتي تدعو الى فصل وخصوصية عالية للحياة العائلية. اذ يمتاز النسيج العمراني الحضري بالتدرج الهرمي المتناقض فيما يخص الحيز الفراغي العام وذلك ان الفراغات العامة في المدينة العربية الاسلامية تبدأ من الساحة العامة الى القصبة الرئيسة ثم الى الطريق شبه العام ثم الى الطريق الخاص بالمتجاورة السكنية ثم الطريق الخاص لمجموعة البيوت انتهاء بالطريق غير النافذ وعلى الرغم مما يبدو للوهلة الأولى نظريا من اشتراك معظم المدن بما فيها مدن العصور الوسطى ببعض هذا الهلام التدرّجي المتناقض الاّ ان طبيعة الانفتاح بين الفراغات الخاصة ضمن المباني و الفراغات العامة واتصالها هي ذات طبيعة عضوية و خصوصية في آن واحد للنسيج العمراني الحضري للمدينة العربية بما تتفرد به بوضوح عن غيرها من مدن الحضارات الأخرى(٢٠).

٣- الاحتواء :

ويعبرهذا المفهوم عن الاستجابة العقلانية للمتطلبات الانسانية التي افرزتها قيم المجتمع الاسلامي ، حيث ان لكل بناء خلايا تكونه ، وان البناء الاحتوائي في المدينة الاسلامية تكونه خلية الاحتواء (الفناء الداخلي) شكل رقم (٧) او الفضاءات المتكررة بصورة عضوية لا نهائية مرتبطة بشبكة من الازقة الضيقة ومسالك الحركة المتعرجة مكونة بنية كثيفة من التتابعات الاحتوائية المتجانسة(٢١).

وينطبق هذا المفهوم على المدينة ايضا ، اذ تمثل فضاءا احتوائيا منغلقا على نفسه بسورها المحيط وبوابتها ويمثل المسجد الجامع المركز الحيوي لهذا الاحتواء والمنطلق الاساسي له ، تحيط به بنية كثيفة من تتابعات احتوائية متجانسة .

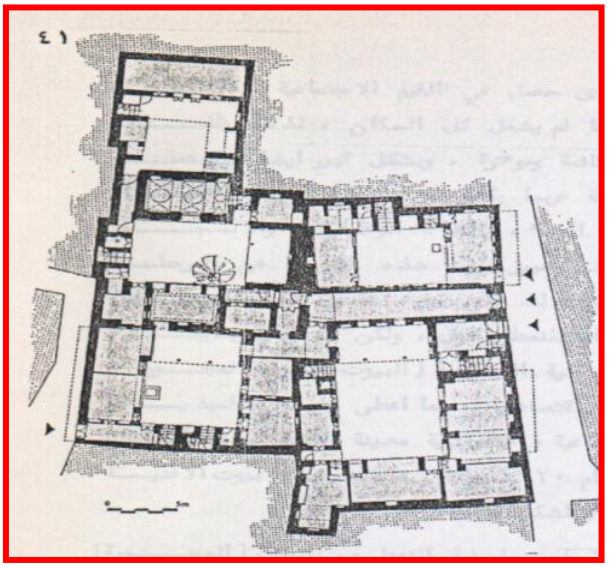

شكل(٧)

الاحتواء في البيت البغدادي

المصدر :القادري،٢٠٠٦،ص١٨

٤-الاتجاهية :

ان ابرز تأثير للاتجاهية على التكوين الفضائي للنسيج الحضري للمدينة ، هو توجيه المسجد الجامع نحو الكعبة ، فالمحور الخفي (hidden axis) الذي يتوجه نحو الكعبة يحدد توجيه المسجد الجامع في المدينة العربية الاسلامية وبالتالي ينسحب تأثير ذلك على تحديد اتجاه واستقامة الشوارع الرئيسة التي تتقاطع في المركز عند المسجد الجامع .

وينطبق هذا المبدأ على الازقة المتعرجة والضيقة الرابطة لاجزاء النسيج الحضري في المناطق السكنية ، حيث تكون هذه الازقة فضاءات اتجاهية ، ان شكل هذه الازقة والتغير الذكي في الاتجاه والتغيرات المفاجئة بالمستوى ، المعالجات المعمارية للشكل واللون والملمس وتداخل الكتلة والفضاء ،تساعد في التغلب على الشعور بالملل والرتابة والتي اصبحت من سمات البيئة الحضرية المعاصرة.

٥- المقياس الانساني :

يظهر تأثير المقياس الانساني في تحديد حجم المدينة وابعادها بدرجة كبيرة بامكانيات حركة المشاة وكذلك حجم المحلة السكنية بما يسمح بتعزيز العلاقات الاجتماعية للسكان وهذا ما نلاحظه في جميع مستويات التكوين الفضائي المكونة للهيكل الحضري للمدينة العربية الاسلامية شكل رقم (٨).

شكل (٨)

المقياس الانساني في المدينة العربية
المصدر:امانة العاصمة،تطوير شارع حيفا

اما على المستوى التفصيلي فيظهر تأثير المقياس الانساني بوضوح في تصاميم الفضاءات المفتوحة والفناءات الداخلية التي تنبض باحاسيس حية وعلاقة واضحة بين مقياس الانسان والفضاء التي يعبرعنها بالعلاقة بين الحاوي والمحتوى، حيث تؤثر العلاقات المادية بين ابعاد الحاوي والمحتوى(اي النسب بين ارتفاع الانسان والفضاء الذي يحويه) مع الاخذ بعين الاعتبار العوامل الاخرى(٢٢).

٦- التنظيم الاسكاني :

يمتاز هذا التنظيم في المدينة العربية الاسلامية في شكل وتكوين الوحدة السكنية المنفصلة وفي التكوين الناتج عن تجميع هذه الوحدات حيث تتميز بتكتلها الشديد الذي يشكل كيانات مميزة ذات علاقات وسمات عمرانية تقدم تعبيرا عن تأثيرا ت القيم الثقافية والعوامل الطبيعية على الهيكل العمراني للمدينة ويتميز هذا النظام بالتدرج بين العام الى شبه الخاص الى الخاص (٢٣).

٧- الايقاع :

يتحقق الايقاع في التكوين الفضائي للمدينة العربية الاسلامية بتلقائية حرة ضمن الالتزام التقليدي العام ، فيضيق الفضاء تارة ويتسع اخرى ، وينفتح وينغلق ، ويمتد مستقيما وينحني ويتغير اتجاهه ، حيث تتعاقب الفضاءات من فضاء اتجاهي الى فضاء اخر لا اتجاهي والتي تمثل محطات توقف واحتواء ضمن ايقاع طبيعي غير مفتعل .

خامسا:خصائص تخطيط المدن العربية الاسلامية:

يتميز تخطيط المدن العربية الاسلامية بعدد من الخصائص التي ميزتها من المدن الغربية مما يضفي لها طابع خاص يتوافق والخصوصية العربية الاسلامية ومن اهمها:

١-التدرج الهرمي و النسيج المتضام :

إن المدينة العربية الإسلامية لها مميزة خاصة وهي تمتاز بعامل المرونة والتكيف في تخطيطها ، إلا أنها تمتاز أيضا بخصوصيتها العالية وهويتها المميزة لها التي ينبغي الحفاظ عليها عند ملاءمتها لمتطلبات تطور العصر و بما يعطيها حالة من التجدد و الاستمرارية ضمن النسيج التراثي المدينة . لذلك تمتاز المدينة العربية الاسلامية بالتدرج في نسيجها الحضري و على جميع المستويات (كمدينة والنسيج التراثي وصولا إلى المناطق السكنية وعلى مستوى الوحدة السكنية أيضاً). إن المسالك المتوجهة و التغير المفاجئ في اللون و الشكل التي لا تعطي شعوراً مسبقاً بالاستمرارية وهي تساعد المتلقي على عدم الإحساس بالملل و الرتابة . ويصل هذا التدرج إلى داخل الفناء الداخلي للبيت داخل النسيج التراثي حيث تتوزع حوله فضاءات الدار وتعطي شعوراً بالنظام المتدرج

و يلاحظ في النسيج التراثي إن الكثافة الحضرية البصرية هي السمة المميزة لهذا النسيج إما الكثافة السكانية فتكون عرضة للتغير و التذبذب في المراكز التاريخية للمدن. يشمل هذا النسيج علاقة الأبنية بعضها ببعض و علاقة هذه الأبنية مع الفضاءات الحضرية المحيطة وشبكة الحركة ويكون هذا النسيج على أسس المقياس و نسبة الكتلة إلى الفراغ .ويمتاز النسيج المتضام للمدينة العربية الإسلامية بوجود منطقة مركزية تحوي الجامع كنقطة في المركز،وتتجه الفعاليات نحو المنطقة المركزية عن طريق مستويات حركة مختلفة ومتدرجة شكل رقم (٩).

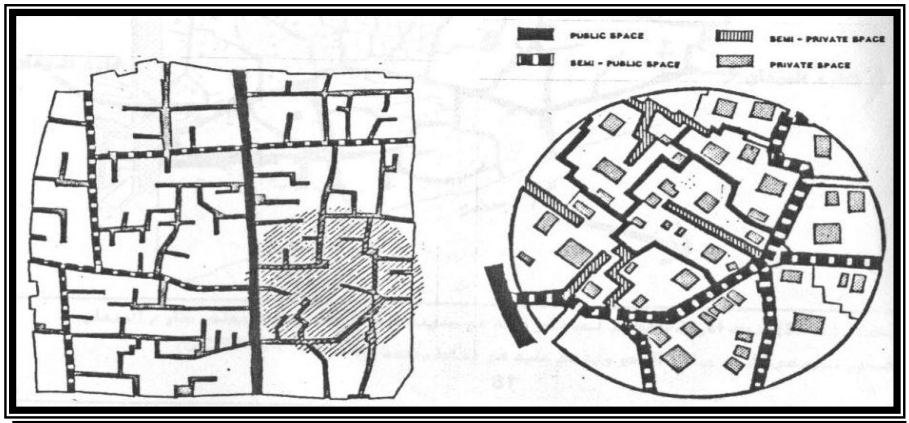

شكل (٩)

المصدر:المظفر،رياض منير،ص٧٦

٢-الانضمام نحو الداخل والتجانس:

يعتبر أحدى المكونات الأساسية في الهيئة الحضرية مجاميع الأبنية ذات الواجهة المستمرة و المغلقة للشارع وترتبط تلك المجاميع مع بعضها عن طريق الأزقة المتعرجة و الملتوية . أن هذه الأزقة هي الاستجابة العقلانية لنمط الحياة السكنية الذي يركز في البيئة الحضرية العربية الإسلامية على فكرة الفضاء الداخلي وإهمال الواجهات الخارجية التي اتسمت بالبساطة من ناحية المعالجات المعمارية فضلا عن أنها معالجة بيئية توفر فضاءاً خاصاً للمعيشة عن طريق مقياسها الإنساني(٢٤) ، ومن خلال وحدة الجيرة و الوحدة العمرانية فأنها تؤدي إلى الوحدة في النسيج الحضري. أن هذا التوجه في التصميم و التخطيط الحضري يعبر عن الوحدة و التميز في المدينة العربية ويعبر عن خاصية التوجه إلى الداخل . إن مبدأ الوحدة في الإسلام بين المسلم وأخيه المسلم هو الأساس الذي أدى بالنتيجة إلى الوحدة بين مفردات النسيج الحضري فان الفضاءات الداخلية في المسكن لا يمكن إن تؤدي وظيفتها اجتماعياً و بيئياً بنجاح دون درجة عالية من الارتباط بينها وبين مكونات النسيج أخرى(٢٥) .

٣-الخصوصية :

تعد الخصوصية واحدة من أهم الأسس التي أثرت بشكل رئيس في تكوين البيئة الحضرية في المدن العربية والإسلامية حيث أنها تؤثر ابتداءً من أجزاء العنصر العمراني الواحد ومن ثم العنصر بأكمله وعلاقات العناصر فيما بينها منتهية بالنسيج الحضري بأكمله. فضلاً عن تأثيرها المباشر في العلاقات الاجتماعية وتداخلاتها وترابطاتها يشعر كل فرد أو مجموعة بالحاجة إلى قدر من الخصوصية في متطلبات الحياة بمسئولياتها ومكان السكن هو أحد أهم هذه المتطلبات. وجاءت التعاليم الدينية الإسلامية لتعمق هذا الشعور وتزيد من أهميته في جميع المستويات مؤكدة خصوصية الأمة في سلوكها وتصرفاتها. وفيما يخص جانب الخصوصية في البيئة العمرانية فعنيت بجوانب عديدة كارتفاع الأبنية فيما بينها وتحديدها وتصميم الأزقة داخل المحلة السكنية وانغلاقها من الخارج وانفتاحها في الداخل مع الاتصال المستمر وهناك خصوصية الحوانيت والمحلات التجارية مع انفصالها من المناطق السكنية ومراعاة الفتحات والشبابيك لما تسببه من ضرر معنوي وذلك بسبب الكشف الذي تطل عليه هذه الفتحات مع وجود السماح بوضع فتحات الإضاءة بشرط أن لا يستطاع أن تنال إلا بالسلم .و بشكل عام تظهر هذه الخصوصية في النسيج الحضري للمدينة العربية الإسلامية بسبب التركيز على مستوى العناصر التفصيلية لأجزاء النسيج.

٤-عنصر المفاجأة والتجانس البصري :

إن تخطيط المدينة العربية الاسلامية لا يسمح بتكوين مشهد مستمر لمسافة طويلة فالطريق الذي يتغير اتجاهه بزوايا مختلفة يعطي أثراً تتابعياً للمشهد من خلال الانقطاع والتواصل في انكشاف المشهد بصورة مستمرة حيث نلاحظ أن مواد البناء و الارتفاعات والنسب هي متساوية و متناسقة للمدينة على نحوٍ عام تقريباً إلا أن تغير زاوية الطريق و في كل مرة وما يترتب عليها من تغير زاوية سقوط أشعة الشمس عليها في كل مرة وتغير الظل والضوء يعطي شعورا بتجدد المشهد في كل مرة بعد المرور من التواء إلى آخر في منتصف الطريق مما يجد

عنصر المفاجأة لدى المتلقي.ويشعر بالتناغم الدائم دون انقطاع ويبدو لنا من خلال الإطلاع ، و دراسة وتحليل المدن العربية ونسيجها الحضري أن الأزقة الملتوية المتعرجة ، ذات الجو اللطيف ، هي النمط المتميز في النظام الحركي للمقتربات في المدن العربية الإسلامية وهي مليئة بالحيوية و الديناميكية و بها عنصر مفاجأة حية وبصرية وسمعية دائمة الحضور.وتظهر لنا صفة التجانس على مشهد المدينة عندما تكون واجهات الأبنية من نمط بنائي واحد أو أنماط متقاربة حيث تظهر صفة التجانس على المشهد بصورة كلية حيث تعطي الشعور بوحدة المعالجة وقوة الواجهة من الناحية الشكلية ذاتها من دون أن تدخل التعديل أو المعالجة .

كما إن الخصائص الجوهرية في المباني الإسلامية سواء الأثرية منها أم التراثية تتمثل في القدرة العالية للمعمار العراقي على استيعاب خصائص الأرض و البيئة و المتطلبات الوظيفية للمبنى و أيجاد نوع من التآلف بينها وبين مواد البناء المتوفرة وصولا إلى مبانٍ ذات شكل ومضمون يحقق للإنسان استعمالاً أفضل لها في صورة متفائلة ومتجانسة سواء كان للمبنى الواحد بوصفها بداية مستقلة أو لمجموعة من الأبنية بوصفها مشهداً متكاملاً. ونستطيع ملاحظة هذه الصفة في الأزقة البغدادية القديمة حيث النمط البنائي الواحد والارتفاعات والألوان والنسب المتشابهة مما يعطي صفة التجانس على المشهد على نحوٍ عام.

٥- تخطيط استعمالات الارض وفق الاحكام الفقهية :

لقد أثرت الأحكام الفقهية الخاصة باستعمالات الأرض في توزيع عناصر معينة بشكل متوازن على النسيج الحضري كالمساجد التي يمكن رؤية تأثيرها في مستوى المخطط أو في مستوى المشهد الحضري عند النظر لأية مدينة من مدن المسلمين . وكذلك كان موقع المسجد الكبير (مسجد الجمعة) الذي كان منفردا في البداية ، وتتفرع منه شعاعياً الشوارع الرئيسة في المدينة . وعندما أجازت الأحكام الفقهية إقامة اكثر من مسجد جمعة بدا المخطط يتحول إلى مخطط متعدد المراكز و بتراتب واضح بعد أن كان بمركز واحد وبذلك اثر في الشكل العام لبعض المدن العربية و الإسلامية كما في مكة و المدينة المنورة و النجف الاشرف وبغداد وغيرها(٢٦).
ومن جانب اخر اثرت تلك الاحكام في ايجاد اسواق متخصصة كان لكل منها(او لكل جزء منها)وظيفة مختلفة ، مما اعطى شكلا وهيئة متميزة يمكن ملاحظتها بوضوح عند التجوال في اسواق المدن الاسلامية.

سادسا:الاستنتاجات:

١- يعتبر المسجد من اهم مكونات خطة المدينة الاولى باعتباره قد شكل مركز المدينة الديني والسياسي وانجذبت نحوه الاسواق واقيمت حوله خطط السكن وخطت اتجاهات الشوارع التي تربط اجزاء المدينة لتنعكس ايجابيا على النسيج الحضري للمدينة.

٢- كان للاحكام الفقهية التأثير الواضح في مخطط مركز المدينة العربية الاسلامية فهي التي توضح الاسس والقواعد لحركة الانشاء في المدينة.

٣- اتخذت دار الامارة موقعا متميزافي مخطط المدينة العربية الاسلامية باعتبارها نمط من الابنية التي تمثل رمزا من رموز الدولة وقوتها.

٤- تخطيط الابنية السكنية والمباني العامة قائم على اساس التخطيط المتراصف الذي يعمل على زيادة اختزال المسافات التي يقطعها الافراد في رحلاتهم وكذلك تقليل نفقات البناء فضلا عن تحقيق الجوانب الاجتماعية بين السكان نتيجة تقارب الوحدات السكنية.

٥- كشفت عمارة المساكن في المدن العربية الاسلامية عن عمق المعالجات التخطيطية التصميمية للعرب يمكن من خلالها استلهام معايير حضرية معاصرة بحيث شكلت بمحتواها ومضامينها جذورا وا بعادا تأسيسية في الفكر المعماري العربي.

سابعا:التوصيات:

وعلى ضوء ما تقدم يوصي البحث بما يأتي:

١-ضرورة ان يتضمن التخطيط المعاصر للمدن نظماً لها خصائص توافقية ونابعة من تطلعات ومتطلبات المجتمع العربي وارثه الحضاري والعمراني وضمن مرحلته وظرفه لتحقق أهداف تنسجم وتتطابق مع المبادىء العربية والإسلامية.

٢-ضرورة الابتعاد عن الاقتباس الأعمى للمفاهيم والأفكار الغربية سواء على مستوى التخطيط أم على مستوى المجالات المعرفية الأخرى..

٣- يتطلب من المخططين والمعماريين التوصل الى نظرية محلية تعبر عن خصائص المدينة العربية الاسلامية وتكون في نفس الوقت ملائمة لظروف العصر والتحولات الحضارية الحالية.

٤-ضرورة الاهتمام بالمناهج الدراسية والتأكيد من خلالها على العناصر العمرانية للمدن العربية الإسلامية بالقدر الكافي الذي يستطيع من خلاله المخطط والمهندس المعماري أن يتناول تلك العناصربتعمق أكثر.فضلاً عن بقية المفاهيم العمرانية العامة الأخرى لرفع مستوى الواقع المعرفي للمخطط او المهندس.

٥-استخدام الامكانيات التقنية والتكنلوجية الحديثة بصورة تتفق مع حضارتنا العربية الاسلامية وخصوصيتها المحلية والتي ستساهم في نجاح تجربة الربط بين الاصالة والمعاصرة.

الهوامش:

١-عثمان ،محمد عبد الستار ،**المدينة الاسلامية** ،سلسلة كتب ثقافية،المجلس الوطني للثقافة،الكويت،١٩٨٨،ص٥١ .

٢-حسين،عبدالرزاق عباس ، **نشأت مدن العراق وتطورها**،جامعة بغداد ،مطبعة الارشاد ،١٩٧٧ ، ص٢٨ .

٣-الموسوي ،مصطفى عباس ، **العوامل التأريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية** ،بغداد ،دار الرشيد،١٩٨٢،ص٥٥ .

٤-مصطفى، شاكر ،**المدن في الاسلام حتى العصر العثماني** ،الطبعة الاولى ،الجزء الاول ،١٩٨٨ ،ص٣٤٧ .

٥-المدفعي ،قحطان ،تطور تخطيط المدينة العربية المؤتمر الاول لمنظمة المدن العربية ،بيروت،١٩٨٦ ،ص٦٣ .

٦-عثمان ،١٩٨٨ ،ص٢٣٥

٧-الغزالي ،الشيخ محمد ،**عمارة المدينة المنورة في عهد الرسول (ص)**سلسة دورية عن وزارة الثقافة،قطر١٩٩٦،ص٢٤ .

٨- Hakim ,Basim Sasim, Arabic-Islamic Cities,Building and Plannhng Princhple, 1986 p 103

٩-عثمان ،١٩٨٨ ،ص١١٧ .

١٠-جعفر،عصام عبدالامير محمد،**تطور المنطقة التجارية في مركزالرصافة التجارية،بغداد**،رسالة مقدمة الى كلية الهنسة المعمارية،جامعة بغداد،١٩٨٦ ،ص٦٩

١١- عثمان ،١٩٨٨ ،ص٢٨٥ .

١٢- Ansari ,J,H,and Shaheer,M**, Astrategy For Planning in Arab Town in the Arab City**,Saudia Arabia 1981 p 278

١٣- عثمان ، ١٩٨٨ ،ص٦٥ .

١٤- الكناني ، كامل كاظم،**تخطيط الدينة العربية الاسلامية-الخصوصية والحداثة**،مجلة المخطط والتنمية،العدد١٥ ، ٢٠٠٦ ،ص٩٣ .

١٥- عثمان ،١٩٨٨ ،ص٢٤٢ .

١٦-مصطفى،١٩٨٨،ج٢ ،ص٧٠٦

١٧-المصدر نفسه ،ص٦٤٤ .

١٨-الكناني-عامرشاكر،**التغير في النسيج العمراني واثره في المشهد الحضري**،رسالة غير منشورة ،٢٠٠٠ ،ص٣٤ .

١٩- السرحان ،مبسون محي هلال،**التغير الوظيفي وتشكيل الجزء التقليدي**،رسالة غير منشورة،١٩٩٩ ،ص ١٦.

٢٠-القادري ،سلمى خالد،**اشكالية النسيج الحضري للمدينة العربية الاسلامية**،رسالة غير منشورة،٢٠٠٦ ،ص٣٧ .
٢١- ،المصدر نفسه ،ص٣٨ .
٢٢- السعدوني،رعد لفته،**المدينة العربية الاسلامية من منظور معماري وحضري**،رسالة غير منشورة ، ١٩٩٩ ،ص٣٥ .
٢٣- السعدوني ،١٩٩٩، ص٣٨ .
٢٤-المظفر،رياض منير ،**فهم المدينة العربية الاسلامية بكونها نظاما في ضوء المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنلوجية**،رسالة غير منشورة،٢٠٠٥ ،ص٧٧ .
٢٥-عثمان ،١٩٨٨ ،ص٥٨ .
٢٦-عثمان ،١٩٨٨،ص٢٦٣.

المصادر:

١. ابراهيم ، عبد الباقي ،**تأصيل القيم الحضارية في بناء المدن الاسلامية المعاصرة** ،مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، القاهرة،١٩٨٢.
٢. حسين ،عبد الرزاق عباس ،**نشأت مدن العراق وتطورها** ،جامعة بغداد ، مطبعة الارشاد ،١٩٧٧ .
٣. جعفر ،عصام عبد الامير محمد ، **تطور المنطقة التجارية في مركز الرصافة القديمة** –بغداد ،رسالة مقدمة الى كلية الهندسة المعمارية ،جامعة بغداد ،١٩٨٦.
٤. السعدوني ،رعد لفته ، **المدينة العربية الاسلامية من منظور معماري وحضري** ، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد/ كلية الهندسة المعمارية ،١٩٩٠.
٥. السرحان ،ميسون محي هلال ،**التغير الوظيفي وتشكيل الجزء التقليدي**، رسالة ماجستير مقدمة الى مركز التخطيط الحضري والاقليمي للدراسات العليا ،١٩٩٩.
٦. عثمان ،محمد عبد الستار ، **المدينة الاسلامية** ،سلسلة كتب ثقافية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ،١٩٨٨.
٧. الغزالي ، الشيخ محمد، **عمارة المدينة المنورة في عهد الرسول (ص)**،سلسلة دورية تصدر عن وزارة الثقافة ،قطر ،١٩٩٦.
٨. القادري،سلمى خالد،**اشكالية النسيج الحضري للمدينة العربية الاسلامية**،رسالة ماجستير مقدمة الى مركز التخطيط الحضري والاقليمي،٢٠٠٦.
٩. الكناني ، عامر شاكر،**التغير في النسيج العمراني واثره في المشهد الحضري** ،رسالة ماجستير مقدمة الى مركز التخطيط الحضري والاقليمي ،٢٠٠٠.

١٠. الكناني ،كامل كاظم ،**تخطيط المدينة العربية الاسلامية-الخصوصية والحداثة** ،مجلة المخطط والتنمية، العدد ١٥،لسنة ٢٠٠٦.

١١. مصطفى ، شاكر ، **المدن في الاسلام حتى العصر العثماني** ، الطبعة الاولى الجزء الاول ،١٩٨٨.

١٢. مصطفى ، شاكر ، **المدن في الاسلام حتى العصر العثماني** ، الطبعة الاولى ،الجزء الثاني ،١٩٨٨.

١٣. المدفعي ،قحطان،**تطور تخطيط المدينة العربية** ،المؤتمر الاول لمنظمة المدن العربية ،بيروت ،لبنان ،١٩٨٦.

١٤. المظفر،رياض منير، **فهم المدينة العربية الاسلامية بكونها نظاما في ضوء المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنلوجية** ،رسالة ماجستير مقدمة الى مركز التخطيط الحضري والاقليمي ،٢٠٠٥.

١٥. الموسوي ، مصطفى عباس ، **العوامل التأريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية** ، بغداد ،دار الرشيد ،١٩٨٢.

16. **Ansari,J,H and Shaheer,M, Astrategy for Planning in Arab Town in the Arab City, Saudia Arabia, 1981.**

17. **Hakim,Basim Sasim, Arabic- Islamic Cities,Building and Planning Principle, KPILTD, England,1981.**

Abstract:

The Arabic-Islamic city planning was based on two main factors are a place of worship, housing, and there is always the trinity of religious, political, and economic are at the center of each city, such as mosque ,Dar Emirate and the market in addition to the spacious field. But many Arab countries have adopted Western ideas in architecture and planning, which led to blur features and elements of originality in the planning of Arabic-Islamic city.

many of the planners and engineers were adapted the Western ideas in architecture and planning until it became mainstream, And if it continues may lead to a change in values and the Arab community lose their recognized civilization and indelible personal characteristic.

I have addressed in this paper the originated of Arabic Islamic cities and study the basic elements in the planning and urban fabric of the component properties with a view to reaching elements of originality, which was characterized by the Islamic -Arab cities that can be used in the planning of contemporary Arabic city.